

اللسانيات النصّية في التراث النقديّ العربيّ

دراسة في النصوص النقدية القديمة

م. اياد كمر كرم

كلية الآداب / جامعة واسط

الملخص:

تُعد اللسانيات النصّية من المفاهيم المُعقدة، والمُتنوعة والتواصلية، التي شغلت بال العلماء والباحثين في القديم والحديث، وفي كلا الحضارتين العربية والغربية على حدٍ سواء، فهي من المفاهيم المُرنة والمتولدة من معارف وعلوم متنوعة ومتداخلة، إذ ينفلت أيّ تحديدٍ أو مفهوم لها؛ وذلك لتداخل وتنوع المعايير والأسس التي تعتمد عليها، والأطر والمرجعيات التي تتولد منها؛ ولذلك اتسمت (اللسانيات النصية) بصفة الشمولية، حيث تعدد النظريات والإجراءات، وانفتاح مرجعيتها، ومنهجها على علوم ومعارف واسعة، كعلم النفس، والاجتماع، والسيميائية، والأسلوبية، والذكاء الاصطناعي، ونظرية المعلومات. فضلا عن صفتها الأساسية القارة داخل النص وهي صفة الإستمرارية، والتي تعني التواصل والتتابع، والترابط بين الأجزاء المكونة للنص. تتمثل حركة وثيمة بحثنا على رصد وكشف النصوص النقدية التراثية والتي تناولت واهتمت بالنص الادبي، وبيان ماهيته عبر أدواته وأجزائه المترابطة والمتماسكة فيما بينها، وكذلك امتلاك اصحاب تلك النصوص رؤية نقدية واضحة، وثاقبة في تحليل وتوصيف النصوص الادبية، وتمييزها فيما بينها، فضلا عن المفاهيم الدقيقة (المصطلحات) التي يطلقونها، والتي تواكب، ان لم نقل المقاربة جدا لمفاهيم اللسانيات النصية الغربية الحديثة، وقد كونت (النصوص النقدية لعلماء العربية) لدينا رؤية واضحة تطمح لإنشاء نظرية لسانية نقدية عربية خالصة في المستقبل القريب ان شاء الله تعالى.

النص (المفهوم) :-

يُعد المفهوم الاصطلاحي للنص من المفاهيم المُعقدة، والمُتنوعة والتواصلية، التي شغلت بال العلماء والباحثين في القديم والحديث، وفي كلا الحضارتين العربية والغربية على حدٍ سواء، فهو مفهوم مرّن وزئبقيّ مراوغ، ينفلت من أيّ تحديدٍ أو تعريفٍ؛ والسبب في ذلك اختلاف وتنوع المعايير والأسس التي تعتمد عليها، والأطر والمرجعيات التي يتولد منها.

فبعض الدارسين ركّز على أشكال تحققه، وبعضٌ على كمّه اللغويّ، والآخر أخذ بعين الاعتبار مكوناته وخصائصه الداخلية، ومنهم من أخذ يستحضر وظائفه وأبعاده التواصلية، وتبعاً لهذا الاختلاف نتج تباين الآراء فيه، وفي تعدد حدوده وتعريفه، من دون الوصول إلى تعريف جامع شامل له ، ولعل أول من أسس لعلم النص أو نظرية لسانيات النص هو ز. هاريس من خلال عمله وبخاصة في كتابه (تحليل الخطاب ١٩٥٢)، فقد وسع مناهج التصنيف التوزيعية التي حافظت على مستويات أدنى، مستوى الجملة^(١). ووجد إن الخطاب هو: (تتابع من جمل كثيرة، ذات نهاية)^(٢) ، بينما يرى هيلش النص بأنه: (تتابع متماسك من الجمل)^(٣) ، وعند فاينرش هو: (وحدة كلية مترابطة الأجزاء، فالجمل يتبع بعضها بعضاً، وفقاً لنظام سديد، بحيث تسهم كل جملة في فهم الجملة التي تليها فهماً معقولاً، كما تسهم الجملة التالية من ناحية أخرى في فهم الجملة السابقة عليها فهماً أفضل)^(٤). إذن، فالنص تكوينٌ حتميٌّ، أجزاؤه ثابتة ومتضافرة عبر تماسك بعضها البعض^(٥). وتعد الناقدة البلغارية جوليا كريستيفا من المساهمين والمؤسسين لهذه النظرية النقدية الحديثة، ولها الفضل في ضبط المفاهيم لتلك النظرية، فمفهوم النص عندها بأنه: جهاز عبر لساني يعيد توزيع نظام اللسان عن طريق ربطه بكلام تواصلٍ راميّاً بذلك إلى الإخبار المباشر وبين مختلف الملفوظات السابقة والمتزامنة معه، فالنص إذن إنتاجية ، ويعني ذلك علاقة النص باللسان الذي يتداخل فيه بعلاقة إعادة التوزيع ، وبضمنها المقولات المنطقية^(٦) وكذا هو: (ترحال للنصوص، وتداخلٌ نصيٌّ، ففي فضاء نص معين تتقاطع، وتتتافى ملفوظات عديدة، مقتطعة من نصوص أخرى ..)^(٧). بينما يجد فاوولر النص عند اللساني بأنه: (متوالية من الجمل المترابطة فيما بينها تشكل استمراراً، وانسجماً على صعيد تلك المتوالية)^(٨).

فيما ركّز فـهلمـسليف (Hjilmslev) على المضمون في فهم النص، اذ قال: ان مفهوم النص يعني أن التحليل يبدأ بالوحدة الكبرى التي ترسم حدودها عن طريق تعيين الفواصل والقواطع الملموسة، لاتصالها، فهو اهتم بمبدأ التواصل، مهمل بذلك طول النص، وهو المكتفي بذاته، والمكتمل بدلالته^(٩). ومنهم من راعى الجانب الشكلي كما يراه عند هارتمان (Hartman) بأنه: (علامة لغوية أصيلة تبرز الجانب الاتصالي والسميائي..)^(١٠).

أما لوتمان فيرى النص: (لا يمثل مجرد متوالية من مجموع علامة تقع بين حدين فاصلين، فالتنظيم الداخلي الذي يحيله إلى مستوى مترابك أفقياً في كل بنيوي موحد لازم للنص، فبروز البنية شرط أساسي لتكوين النص)^(١١) وللعودة إلى هلمسليف يجد النص : (أي ملفوظ منظوقاً كان أو مكتوباً طويلاً أو مختصراً، جديداً أو قديماً، فكلمة (stop) تعد نصاً مثلها مثل رواية الوردية)^(١٢). فهو هنا راعى الجانب الشكلي دون اهتمام بالمضمون.

وإذ يتطور فكر البحث النصي نحو مفهوم النص وماهيته، لبناء لسانيات النص، نجد كل من هاليدي ورقية حسن قد قدما عملاً كبيراً في هذا المجال، ولاسيما الوقوف على مفاهيم النص، والنصية، والاتساق، ومظاهره كالإحالة والاستبدال

والحذف.. وهما يذهبان إلى أنّ النص لكي يكون نصاً يجب (شرطية) أن يكون بين هذه الجمل علاقات بين الجمل السابقة واللاحقة^(١٣). وهما بذلك ركزا أيضاً على الجانب المعنوي، وأفضل نظرة للنص عندهما بأنه وحدة دلالية، وهذا ما دعى فان ديك إلى تعريف النص: (بأنه بنية سطحية توجهها، وتحفزها بنية عميقة دلالية)^(١٤) وبتعريف آخر أكد على أهمية الترابط الذي هو الأساس، والذي تركز عليه النصوص بوصفها كلاً أو ما يسميه بالأبنية الكبرى، فهو تتابع من الجمل تقي بقيود الربط؛ لأنّ الوحدات الكبرى لها طبيعة دلالية^(١٥).

ويمكن القول إنّ النص هو مجموعة من العناصر تتربط فيما بينها العلاقات الداخلية تجعل من النص كلاً متماسكاً ، ولها هدف تواصلية مع المستقبل (المتلقي).

لسانيات النص Texting autistic:

اللسانيات هي العلم الذي يدرس اللغة الإنسانية دراسة علمية (تقوم على الوصف، ومعاينة الوقائع بعيدا عن النزعة التعليمية، والأحكام المعيارية)^(١٦) والمبدع (الأديب) بدوره يعيش حالة الصراع بين ذاكرتين ذاكرة الوقائع وذاكرة المفاهيم الخاصة به، وبما إن اللغة مثلت الإنسان بكل كيانه (خطابه)، والنص صورة من

صور تلك اللغة، فيتحول (النص) من استعمال اللغة على التركيب السطحي (من كلمات مفردة) إلى إجراءات الاستعمال الاتصالي (التواصلي) أي بدل التركيز على الصيغ المجردة اللغوية في ذهن إلى وقعها الاتصالي^(١٧). وهذا لا يعني إهمال اللغة كنظام تركيب، بل هو الأساس والمرتكز لللسانيات النصية، فهي (اللغة) من أكثر ملكات النوع الإنساني إنسانية على وجه الخصوص، والإنسان في سعيه لفهم اللغة ومعرفتها، فإنها طوال تاريخه الفكري، كان ليسعى تماما للوصول؛ لمعرفة ذاته وللعمل بالوصية التي تقابل الزائر لمعبد ابولو في دلفي مركز العالم اليوناني القديم، حيث يوجد منبع حضارتنا، وهي " اعرف نفسك"^(١٨) إذن، اللغة هي معرفة الذات الإنسانية، كيف لا وهي انعكاس له ولكيانه. أما لسانيات النص فهي فرع من فروع اللسانيات، والتي تعنى بدراسة مميزات النص من حيث : حده، وتماسكه، ومحتواه الإبلاغي التواصلي^(١٩).

وقد أخذت مسألة النصية (Textualite) مساحة واسعة في البحث اللساني؛ لأنها سعت إلى تحديد الكيفية التي ينسجم بها النص الخطابي، فهي كوثيقة مكتوبة أو ملفوظة حاضرة - المرجع الأول- لكل عملية تحليلية تكشف عن الأبنية اللغوية،

وكيفية تماسكها وتجاورها من حيث هي وحدات لسانية، تتحكم بها قواعد إنتاج متتالية ومتتابعة^(٢٠). وقد اتسمت (اللسانيات النصية) بصفة الشمولية، حيث تعدد النظريات والإجراءات، وانفتاح مرجعيتها، ومنهجها على علوم ومعارف واسعة، كعلم النفس، والاجتماع، والسيمائية، والأسلوبية، والذكاء الاصطناعي، ونظرية المعلومات، وعلم اللسانية، والأدبية عامة^(٢١). ولذلك اتسمت بصفة أساسية قارة هي صفة الإستمرارية، والتي تعني التواصل والتتابع والترابط بين الأجزاء المكونة للنص^(٢٢)، وسنكتفي بهذا

الرصد الموجز للسانيات النَّص ؛ وذلك لكثرة الدراسات التي تناولت نشأة لسانيات النص وتاريخها، ولا جدوى من إعادتها وذكرها.

اللسانيات النصية والتراث العربي :-

مثلما عنت اللغة عند الغربيين شيئاً، فلقد كانت عند العرب تمثل أشياء وأشياء. ولاسيما لها دور كبير ورئيسي في تشكيل العقل العربي؛ (لأنّ العربي يحب لغته لدرجة التقديس، وهو يعتبر السلطة التي لها تعبيراً ليس فقط عن قوتها؛ بل عن قوته هو أيضاً؛ ذلك لأنّ العربي هو الوحيد الذي يستطيع الاستجابة لهذه اللغة

والارتفاع إلى مستوى التعبير البياني الرفيع الذي تتميز به)^(٢٣) وهي ذات سلطة تصورية تمارس تأثيرها في متكلمها؛ إذ بسبب كونها نظاماً رمزياً لا شعورياً فرضت

على أفرادها نظم ترميز معينة كانت بمنزلة أسس ومرجعيات ثقافية للتفكير، تؤثر في رؤية أصلها للعالم وما يدور فيه ^(٢٤). وإذا كانت الفلسفة هي معجزة اليونان، فإنّ (علوم العربية هي معجزة العرب)^(٢٥). وبالفعل فإن للعرب تراثاً معرفياً كبيراً جداً، حمل في طياته معارف وعلوم شتى، ومنها علوم العربية ولغتها، يفوق التراث الغربي كثيراً؛ ولأنّ في تراثنا العربي منظومة معرفية كبيرة ومتنوعة على المستوى اللغوي والأدبي، ولاسيما النقدي. وسنعمل جاهدين على بيان جزء منه على وفق المنظور اللساني النصي الحديث. والذي حفزنا، ودفعنا لذلك إنّ فيه (تراثاً) من النظريات والمفاهيم الحديثة الشيء الكثير، لكن بسبب وجود فجوة معرفية بين تراثنا الثر، وحاضرنا المنقاد للغرب بأغلب الأشياء حال دون إكمال ما بدأه الأجداد الأفاضل!

وللوقوف أكثر قرباً من هذا التراث، سنأخذ بعض رجالاته الأبرز ومنهم : أبو عمرو بن بحر الجاحظ (ت ٢٥٥هـ)، وابن طباطبا العلوي (ت ٣٢٢هـ)، وأبو هلال العسكري (ت ٣٩٥هـ)، وعبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١هـ)، وابن رشيق القيرواني (٤٥٦هـ)،

وحازم القرطاجني (ت ٦٨٤هـ) بأخذ نماذج من نصوصهم النقدية؛ للوقوف عليها، ولبيان

معالم لسانيات النص ومعاييره فيها. وأول هؤلاء هو:-

١- عمرو بن بحر الجاحظ (ت ٢٥٥هـ) :-

من خلال استقراء وتتبع نصوص الجاحظ النقدية لمؤلفاته العديدة والمتنوعة، نجد إن لديه وقفات طويلة، وبارزة، ودقيقة من حيث الرصد والكشف اللساني النصي، والبياني الفني. ولناخذ بعض من هذه النماذج التحليلي والبيان، والكشف. فمن ذلك قوله في بيان قوة الشعر وجودته: (وأجود الشعر ما رأيته متلاحم الأجزاء، سهل المخارج، فتعلم بذلك انه قد أفرغ إفراغاً واحداً، وسبك سبكاً واحداً، فهو يجري على اللسان كما يجري الدهان)^(٢٦).

وكذلك قارب، وقارن بين النظم الجيد، وانتظام حروف الكلام، وأجزاء البيت من الشعر، وبين الشعر الرديء المفكك العبارة، والمفترق الأجزاء، وقد شبهه بـ (بعر الكباش)؛ لكونه يقع مفترقا، غير مؤتلف ولا متجاور فيقول: (تراها متفقة ملسا، ولينة المعاطف سهلة، وتراها مختلفة متباينة، ومتنافرة مستكرهة، تشق على اللسان وتكده، والأخرى تراها سهلة لينة، ورطبة متوالية، سلسلة النظام، خفيفة على اللسان؛ حتى كأن البيت بأسره كلمة واحدة، حتى كأن الكلمة بأسرها حرف واحد)^(٢٧).

والم تأمل لهذين النصين المكتنزين، يلحظ قوة وإبداع هذا الناقد البصير بالنصوص الأدبية، وتوصيفها، بل إن كلامه (نقده) يحتاج إلى تحليل، ونقد لمشاريع نقدية ونظريات أدبية عديدة، وهو عند الباحث - أبرز النقاد القدامى، وأفضلهم، بل كل من جاء بعده عيال عليه، ومقلد، وتابع، ولذلك سأقف على أخذ نماذج من نصوصه النقدية أكثر من غيره؛ لما لها من طابع نقدي، ولساني نصي يدخل في (اللسانيات النصية) مشروع بحثنا. وبقراءة النصين النقيدين السابقين يتضح عنده وجود فكر نقدي نصي في التحليل والتوصيف للنص الأدبي هذا من جانب، ومن جانب آخر نصوصه تفتح نافذة كبيرة لدراساتها، واستيعابها بدقة متناهية مكونها مشروعا لنظرية نقدية في تحليل النصوص، وفك شفرتها، وكيف تميز النصوص الفنية عن غيرها، وهذا هو هدف مشروع لسانيات النص، البحث وفحص النصوص الأدبية النقدية؛ لبيان مدى تواجد معايير

خاصة (أمثال المعايير السبع) فيها عبر منهج وصفي تحليلي؛ للوصول إلى تحقيق هذه النصوص

لسانيات النصية من عدمها؟

لنتقرب أكثر لنصين الجاحظ، فالأول منهما يمكن عده يحمل بعض إنَّ لم نقل أغلب معايير بوجراند السبع (شروط النصية)، بل أنّه قد أطلق بعض العبارات كـ(التلاحم، والسبك، والإفراغ، والجودة) وهذه كلها تدخل في معياري التماسك (السبك) والانسجام (الحبك/التلاحم) الدلاليّ الذي يجمعها الإتساق النصّي، وهو عنده عنصر الجودة أي الفنية/ النصية/ الأدبية. أما النص الثاني، فهو يفرق بين صفات نصين، الأول يحمل الفنية/الجودة (النصية)؛ كونه أجزاء النص متقنة لمساء، لينة المعطف، وسهلة المخرج(الوضوح). وهذه صفات المعيار الأول (التماسك النصّي) حيث الانتظام للأجزاء، وترابطها بعضها لبعض.

أما صفات النوع الآخر فهو : عباراته مختلفة، ومتباينة (مفترقة)، ومتنافرة مستكرهة، تشق على اللسان (تصعب) وتكده تلجمه، فكيف يقبلها الفكر والقلب إذا كانت صعبة النطق، مفككة عباراته، لا يربطها رابط فكريّ يجمعها(الانسجام الدلاليّ).

وكذا الحال لبقية صفات النص الأول حيث(السهولة، والليونة، والرحبة) والمتوالية سلسلة النظام أي انتظام كلماتها وعباراتها (الأجزاء متسلسلة ومتتابعة) يربطها رابط أو روابط يجمع معانيها وأفكارها حيث الانسجام الدلالي لقضايا موضوعها ثم يصف النص برمته كأنه بيت شعري واحد، والبيت كأنه كلمة واحدة، والكلمة كأنها حرفا، وهذا توصيف دقيق في جعل هذا النص أو البيت الواحد متلاحم متراس، مسبوك سبكا (تماسكا) ومنسجما ومتسقا دلاليّا.

وله موضع آخر يتناول فيه هذه العلاقة الحميمة بين الألفاظ (عناصر التماسك) والمعاني (عناصر الانسجام) في اتحادهما مكونين بذلك البلاغة في نظره إذ يقول: (ولا يكون الكلام يستحق اسم البلاغة حتى يسابق معناه لفظه، ولفظه معناه، فلا يكون لفظه الى سمعك أسبق إلى معناه إلى قلبك)^(٢٨) وإطلاق كلمتا

(السمع والقلب) يتداخلان في معياري (القصد/المؤلف)، و(المقبولية/المتلقي) أكثر. وهما المعياران للثالث والرابع من شروط تحقق النصية اللسانية في علم النص. وأيضا من نصوص فكر النصّي والفنيّ قوله: (ورأيت عامتهم - فقد طالت مشاهدتي لهم - لا يقفون إلّا على الألفاظ المتخيرة، والمعاني المنتخبة، وعلى الألفاظ العذبة، والمخارج السهلة، والديباجة الكريمة، وعلى الطبع

المتمكن وعلى السبك الجيد، وعلى كل كلام له ماء ورونق، وعلى المعاني التي إذا صارت في الصدور عمرتها، وأصلحتها من الفساد القديم، وفتحت لسان باب البلاغة، ودلت الأقلام على مدافن الألفاظ، وأشارت إلى حسان المعاني. ورأيت البصر بهذا الجوهر من الكلام في رواة الكتاب أعم، وعلى السنة حذاق الشعراء أظهر^(٢٩) وفعلا حسب وصفه (رأيت) فرويته نافذة وبصيرة بامتياز.

ويلحظ بتحليله هذا تحليلا نصيا دقيقا من حيث (الألفاظ المتخيرة / والمعاني المنتخبة/ فالألفاظ عذبة/ سهولة المخرج/ بدياج كريم/ وطبع متمكن/ وسبك جيد) (السبك أي التماسك) والجيد/ الحبك أي الانسجام) ويوضح هذا التوصيف أكثر في نص آخر حيث الشروط الفنية، والتي تحقق النصية الأدبية إذ يقول: (والمعاني مطروحة في الطريق، يعرفها العجمي والعربي، والبديوي والقروي، وإنما الشأن في إقامة الوزن، وتخير اللفظ، وسهولة المخرج وكثرة الماء، وفي صحة الطبع، وجودة السبك، فإنما الشعر صناعة، وضرب من النّسج، وجنس من التّصوير)^(٣٠). فقد كرر الشروط نفسها بل ويؤكد عليها، وله قصد بذلك؛ ليعلم الناشئة المتأدبين على الجري على الشروط هذه حتى تصل نصوصهم للفنية، والشهرة، والقبول من الجميع. وقد أضاف شيئا للنص السابق، وهي العبارة الأخيرة، وهي مهمة، بل قانون لنظام الشعر؛ لأنه بنظره صناعة، وهو ضرب من النّسج (التماسك)، وجنس من التّصوير (الحبك/ الانسجام) حتى يتحقق الإتساق لنصية النّص.

٢- ابن طباطبا العلوي (ت ٣٢٢ هـ):-

مثل القرن الرابع الهجري نقلة وحركة نقدية وأدبية كبيرة، من حيث كثرة الإنتاج الشعري والنقدي، من الجانب الأدبي، فضلا عن بقية المعارف والعلوم فهو تَمثل بالعصر الذهبي، بكل ما تعنيه الكلمة، ومن المؤلفات النقدية التي حظيت اهتماماً مميّزاً كتاب (عيار الشعر) لابن طباطبا؛ لأنّ مؤلفه شاعر وأديب وناقد،

فضلا عن طبيعة هذا المؤلف فقد أهتم، بل ألف للناشئة المتأدبين من الشعراء ولاسيما (المحدثين / المولدين) بعد إن عانوا كثيرا في الخوض بهذه الصناعة (الشعر). فكان سبب تأليفه هو رفع تلك المنحة، وتوجيههم نحو جادة الصواب، والارتقاء. فكتابه من تسميته (معيار الشعر) يدل على هذا

المسمى، وهو فحص ونقد الأشعار بمعيار، ومعايير خاصة حددها لهم ابن طباطبا ، و من تلك التوجيهات و الإرشادات النقدية قوله: (فهمت - أحاطك الله - ما سألت أن أصفه لك من علم الشعر، والسبب الذي يتوصل به إلى نظمه، وتقريب ذلك إلى فهمك ، والتأني لتيسير ما عسر منه عليك، وأنا مبين ما سألت عنه، وفتح ما استغلق عليك منه إن شاء

الله تعالى)^(٣١). فهو يصف ها هنا علم الشعر، وكيفية نظمه، فضلاً عن طبيعة استقباله (فهمة/ المتلقي) ثم يستمر بتوجيهاته لهم، والإشتراط عليهم أن ينهجوا نهج الأقدمين والبارزين من الشعراء السابقين، بعد جمعها وتحديدها لهم بقوله: (وقد جمعنا ما أختارناه من أشعار الشعراء في كتاباً سميناه (تهذيب الطبع) يرتاض من تعاوي قول الشعر بالنظر فيه، ويسلك المنهاج الذي سلكه الشعراء، و يتناول المعاني اللطيفة كتناولهم إياها فيحتذي على تلك الأمثلة في الفنون التي طرقت أقوالهم فيها)^(٣٢).

والذي يهمنا بخطابه النقدي ما يخص لسانيات النص، أنه وضع معايير موضوعية لفهم الشعر، وتقبله؛ كون الأشعار مراتبها مختلفة إذ يقول: (الأشعار المحكمة المتقنة، الأنيقة الألفاظ، الحكمة المعاني، العجيبة التأليف فبعضها كالقصور المشيدة، والأبنية الوثيقة الباقية على مر الدهور ..)^(٣٣).

ولنتقرب أكثر منه ، إذ نجده يصف خطاب الشاعر ، و يوزعه توزيعاً دقيقاً محكماً إذ يقول: (للشعر فصولاً كفصول الرسائل ، فيحتاج إلى أن يصل كلامه على تصرفه في فنونه صلة لطيفة ، فيتخلص من الغزل إلى المديح إلى الشكوى بألطف تخلص ، وأحسن حكاية ، بلا انفصال للمعنى الثاني عما قبله ، بل يكون متصلاً به، وممتزجاً معه)^(٣٤) يلحظ من خطابه هذا ما يؤكد على الصلات (العلاقات بين العبارات والجمل ، والانتقال ، وحسنه حسب الغرض) (مقتضى الحال/ المقام) وهذا ما تؤكدته أيضاً الدراسات النصية فيما يخص الانسجام الدلالي (المعيار الثاني) وطبيعة أحكام العلاقات الدلالية فيما بين الجمل، والعبارات حيث الارتباط والتلاحم ، وكذا قوله في موردا آخر في حسن الشعر وانتظامه إذ يقول: (وأحسن الشعر ما ينتظم القول فيه انتظاماً ينسق به أوله على ما ينسقه قائله، بل يجب أن تكون القصيدة كلها ككلمة واحدة في اشتباه أولها بآخرها، نسجاً وحسناً

وفصاحة وجزالة ألفاظ ودقة معان، و صواب تأليف حتى تخرج القصيدة كأنها مفرغة إفراغا تقضي كل كلمة ما بعدها، ويكون ما بعدها متعلقا بها مفتقرا إليها^(٣٥). وهنا يبين اتساق النص وآليات تماسكه حيث حسن انتظام عباراته وجمله من حيث التوزيع والتأليف والترابط، حتى كأن القصيدة كلمة واحدة، وهنا يلحظ تأثيره بنقد الجاحظ حتى بعباراته السابقة، وهذا النص يدور في فلك المعيار الأول وهو التماسك النص واتساقه، وله رؤية أكبر من ذلك إذ يقول: (وينبغي للشاعر أن يتأمل تأليف شعره و تنسيق أبياته، ويقف على حسن تجاورها أو قبحه، فيلائم بينهما لتنظم له معانيها، ويتصل كلامه فيها، ولا يجعل بين ما قد ابتدأ وصفه أو بين تمامه فضلا من حشو ليس فيه جنس ما هو فيه، فينسى السامع المعنى الذي يسوق إليه، كما أنه يحترز من ذلك في كل بيت، فلا يبعد كلمه عن أختها، ولا يحجز بينها وبين تمامها بحشو يشينها، ويتفقد كل مصراع، و هل يشكل ما قبله؟

فربما اتفق للشاعر بيتان يصنع مصراع كل واحد منهما في موضع الآخر فلا ينتبه على ذلك إلا من دق نظره و لطف فهمه^(٣٦).

فقد أكد في كلامه هذا أن يتغنن الشاعر بخطابه، ويتقنه من حيث النظم و التأليف و ينسق بين عباراته و جملة بأحسن نسق، و حسن تجاورها وتآلفها لبعضها البعض و إيناسها، ويؤكد على ثيمة دقيقة في أغلب خطابه النقدي التحليلي النصي هي (مسألة الاتصال)، و عدم قطعها داخل البنية النصية. وهي ما أكد عليها (لسانيو النص) بتلاحم النص، و تماسكه، و انسجام علاقاته الدلالية والاتصالية. ويؤكد أيضاً على الثقافة أخرى هي (السامع) حيث حسن قبوله واستجابته للنص، والتواصل مع النص بدون انقطاع، و هذا يدخل بمعيار القبول (المقبولية).

٣- أبو هلال العسكري (ت ٣٩٥ هـ) :-

لم يبتعد أبو هلال العسكري عن ابن طباطبا كثيرا، بل قارن بين أفكاره، فهو يرى في النظم الجيد أن يشبه العقد المتناسق، وإن الكلام كما كان حسن الرصف والتركيب كان أكثر جودة وإبداع، أما الرصف عنده، أن يكون في الاستعمال الصحيح والنظم الدقيق فلا يقدم ما حقه التأخير، و العكس

كذلك ، وان توضع الألفاظ مواضعها مشاكلة لأخواتها ؛لأنّ (حسن التأليف يزيد المعنى وضوحا وشرحا ، ومع سوء التأليف ورداءة الرصف والتركيب شعبة من التعمية ، فإذا كان المعنى سببا ، ورصف الكلام رويا لم يوجد له قبول ولم تظهر عليه طلاوة وان كان المعنى وسطاً ، ورصف الكلام جيداً كان أحسن موقعا ، وأطيب مستمعاً ، فهو بمنزلة العقد إذا جعل كل خرزة منه إلى ما يليق بها كان رائعا في المرأى وحسن الرصف، أن توضع الألفاظ في مواضعها ، وتمكن في أماكنها ولا يستعمل التقديم والتأخير، والحذف والزيادة إلاّ حذفاً لا يفسد الكلام ، ولا يعمي المعنى، وتضم كل لقطة منها إلى شكلها ، وتضاف إلى لفقها وسوء الرصف تقديم ما ينبغي تأخيرها منها، وصرفها عن وجوهها وتغيير صيغتها، ومخالفة الاستعمال في نظمها)^(٣٧).

إذ يمكننا عد كلامه هذا بقسمه الأول (حسن الرصف) بتفاصيله على النصية برمتها إجمالاً، وبقسمه الثاني (سوء الرصف) على عدم النصية، وفي كلامه هذا نجد التكرار عند الذين سبقوه ، فلا نجد حاجة لإعادة ما قلناه سابقا^(٣٨).

٤- ابن رشيق القيرواني (ت ٤٠٦ هـ) :-

كذلك الأمر نجده عند ابن رشيق إذ وظّف الخطاب النقديّ بحذافيره ، في حديثه عن الشعر وجودته ، من ذلك قوله في باب النظم : (قال أبو عثمان الجاحظ : (أجود الشعر ما رأيته متلاحم من الأجزاء ، سهل المخارج فتعلم بذلك انه افرغ إفراغا ...) وإذا كان الكلام على هذا الأسلوب الذي ذكره الجاحظ لذّ سماعه ، وخفّ محمله ، وقرب فهمه ، وعذب النطق به ، وتحلّى في قلب سامعه ، فإذا كان متاخراً متبايناً ، عسر حفظه ، و ثقل على اللسان النطق به ، ومجته المسامع فلم يستقر منه شيء)^(٣٩) وهو هنا لم يضيف شيئاً سوى حرك بعض الحواس الخمسة، وآثرها في النظم الحسن والجيد كحاستي (الذوق والسمع)، فضلاً الفهم والإدراك والمشاعر ، بعبارة أخرى انغماس كلي من حيث التأثير بهذا النظم الجيد ، اما غير الجيد فعكسه تماما .

٥- عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١ هـ) :-

مثّل فكر عبد القادر طفرة نوعية في مجالات الأدب واللغة والنقد ، ولاسيما كتابيه دلائل الاعجاز واسرار البلاغة. وان اتكأ هذا الفكر على آخرين أمثال الجاحظ و ابن طباطبا ،فضلا عن القاضي عبد الجبار في إقامة نظريته (النظم). ولقد كان موفقا في تقارب المفاهيم وتوضيحها ، وبيان شأنها ، بعد ان كان يشوبها شيئا من الاختلاط وعدم نضجها ، من ذلك البيان ، الحذف والذكر ، التقديم التأخير ، القصر ، الفصل و الوصل كذلك تمييزه علم المعاني وعلم النحو وأصول النحو، وغيرها الكثير وقد شبه واضع الكلام وصانعه (الأديب) بالصائغ الذي يذيب قطع الذهب والفضة فيصنع منها تحفا تسر الناظر والعاقل، فمن قوله: (واعلم أنّ مثل واضع الكلام مثل من يأخذ قطعاً من الذهب والفضة ، فيذيب بعضها في بعض حتى يصير قطعه واحدة) ^(٤٠) . وتعد نظريته (النظم) اساسا فكريا عربيا خالصا في لسانيات النص وتحليل الخطاب ، لو اخذت مكانها في الفكرين العربي والغربي، ولكن السبب الانقطاع والفجوة بين التراث والدارسين العرب ، واعتمادهم على الفكر العربي شبه الكلي حال دون تحقيق لك الحلم.

فهو يؤكد من خلال نظريته ان النظم عبر علم النحو الوظيفي مع البلاغة هو أسّ الابداع حيث التراكيب المنسقة والمتربطة برباط المعنى النفسي (العقل الوجداني) هو يصوغ الكلام وينظمه نظاما، وما الالفاظ الا خدم للمعاني، طائعة لها، ومنقادة فيقول: (اما نظم الكلام فليس الامر فيه كذلك، لأنك تقتفي في نظمها اثار المعاني وترتيبها على حساب ترتيب المعاني في النفس، فهو اذن نظم يعتبر فيه حال المنظوم بعضه مع بعض، وليس النظم الذي معناه ضم الشيء الى الشيء كيف جاء واتفق، وكذلك كان عندهم نظيرا للنسج والتأليف والصياغة والبناء والوشي والتحبير، وما أشبه ذلك مما يوجب اعتبار الاجزاء بعضها مع بعض) ^(٤١). اي أنّ الاجزاء تتشابه في ما بينها يربطها رابط معنوي، يجعلها اكثر تماسكا واتساقا وانسجاما، وقد عرّف النظم بقوله: (واعلم أن ليس النظم إلا أن تضع كلامك الذي

يقتضيه علم النحو ،وتعمل على قوانينه وأصوله ،وينظر في الجمل التي تسرد ، فيعرف موضع الفصل فيها من موضع الوصل، ثم يعرف فيما حقه الوصل موضع الواو من موضع الالف وموضع

الفاء من موضع ثم ويتصرف في التعريف والتذكير والتقديم والتأخير في الكلام كله، ويستعمله على الصحة وعلى ما ينبغي له^(٤٢). ويرى تمام حسان أنّ انتاج الكلام عند عبد القاهر مرّ بأربع مراحل هي: (النظم، البناء، الترتيب والتعليق)^(٤٣). وهذه الاربعة كلها داخلة في تحليل البنيات الداخلية الصغرى للجمل، وعلاقتها بعضها مع بعض، فضلاً عن ارتباطها وتلاحمها وانسجامها مع البنيات الكبرى للنص نفسه، والشيء الاساس عند عبد القادر ليس النظم و معرفته وضبطه وإنما هو العقل، اذ يقول: (ليس الغرض بنظم الكلم، أنْ توالى الفاظها في النطق، بل هي أن تناسقت دلالتها، وتلاقت معانيها، على الوجه

الذي اقتضاه العقل)^(٤٤) فالعقل والذي يسميه بالمعنى النفسي هو الاساس والمحرك في تناسق الدلالات الصغرى والكبرى ، فضلاً عن تماسك البنى اللغوية (الشكلية) واتساقه.

٦- حازم القرطاجني (ت ٦٨٤ هـ) :-

يعد حازم القرطاجني من ابرز الذين تحدثوا عن البناء الداخلي للقصيدة العربية بتحليل دقيق للصلات العديدة الرابطة بين اجزائها ، وقد اشار اليه د. صلاح فضل بالقول: (حالة فريدة لم تتكرر ينبغي الاشارة اليها والتنويه بها ، وهي التي

نجدها عند بلاغي مغربي متأخر هو (حازم القرطاجني) ، وتمييزه بين المطلع - وهو البيت الاول منها - والمقطع وهو مكان الوقوف، ولا يهمل الاشارة الى طريقة وصول الفصول بعضها ببعض، بل ذلك بأسلوب الشرط، إذ يشترط أن يكون معنى كل فصل تابعا لمعنى سابقه ، ومنتسبا اليه في الغرض)^(٤٥) .

وقد فصل حازم المفاهيم بدقة ، ومنها مفهوم الفصل عنده: (أنّه يشمل على بيتين الى اربعة ابيات تدور حول معنى واحد)^(٤٦). وقد عيّّن له شروطا اربعة حتى يتحقق للفصل التماسك وهي تماسك نسج الفصل ، مناسبة طريقة نظم الفصل (عرض القصيدة)، ووجود تسلسل منطقي في الفصول، ووجود علاقة منطقية بين أبيات الفصل^(٤٧) ضمن ذلك القانون الثاني الذي عرّفه: (فاما القانون الثاني وهو ترتيب بعض الفصول الى بعض فيجب أن يقدم في الفصول ما يكون للنفس به عناية بحسب الغرض المقصود بالكلام ويتلوه الأهم فالأهم ..)^(٤٨) ويلحظ من هذا التقسيم الرباعي للفصل قد جمع

معياري التماسك والانسجام، فالأول والثاني للتماسك، والآخران للانسجام حيث البنى الصغرى، وعلاقتها الدلالية والبنى الكبرى للنص وقضاياها. فبعد ان بين حازم الترابط والتسلسل والتلاحم بين اجزاء القصيدة ينتهي الى استنتاج عام

مفاده: (فاطرد له الكلام في جميع ذلك أحسن أطراد ، وانتقل في جميع ذلك من الشيء الى ما يناسبه، والى ما هو منه بسبب، ويجمعه وإياه غرض، فكان الكلام، بذلك مرتبا أحسن ترتيب، ومفصلا احسن تفصيل، وموضوعا بعضه من بعض أحكم وضع)^(٤٩). فهو يؤكد على ان القصيدة يجب ان تتلاحم بعضها ببعض، وتتماسك في بناها الشكلي (السطحي) وتتناسق وتتسجم في موضوعها ، والغرض بإحكام وتقتن^(٥٠). على الرغم من اهمية واكتناز نصوص هذا الرجل(حازم) وذلك لأمرين، الاول سعة افقه وعقله اذ يمتلك ثقافتين: عربية(التراث العربي) ويونانية(الفلسفة والمنطق)، فضلا عن ذائقته الادبية والنقدية، وتأخره زمنيا(اذ استفاد كثيرا من العلماء النقاد السابقين)، ومع ذلك لم نكثر في اخذ نصوصه حازم هاهنا؛ لعدم التكرار؛ وذلك لوجود لبث مستفيض(خاض بحازم القرطاجني حصرا) لد. محمد العبد في مجلة فصول(العدد ٥٩/٢٠٠٢)، واسمه(حبك النص منظورات من التراث العربي)، وقد اعاده في كتابه (النص والخطاب والاتصال).

خلاصة القول:-

بعد ملامسة النصوص النقدية لعلماء العربية البارزين، يتبين الآتي :- بالإمكان اعمال نظرية شاملة، وناضجة من خلال تلك النصوص المكتنزة ومحاكاتها للنظريات والمناهج الحديثة، بدل الاخذ والتأثير شبه الكلي بها، والاندماج بها(النظريات الغربية) دون الرجوع الى تراثنا العربي الثر، ولا يعني قولنا هذا ورأينا محاربة، وفرض تلك النظريات، والمناهج(الغربية) بقدر مواكبتنا لها عبر تراثنا العربي المكتنز والمتنوع، وهذا ما سنعمل عليه بالمستقبل القريب ان شاء الله تعالى.

المصادر والمراجع :-

- (١) ينظر: علم لغة النص، المفاهيم والاتجاهات، د. سعيد حسن بحيري: ٣١.
- (٢) مدخل إلى علم النص، مشكلات بناء النص، ترجمة: سعيد بحيري: ٥٦.
- (٣) م.ن: والصفحة.
- (٤) اللغة والإبداع الأدبي، محمد العبد: ٣٨.
- (٥) ينظر: علم لغة النص، د. سعيد بحيري: ٥٦.
- (٦) علم النص، جوليا كريستيفا، ترجمة: فريد الزاهي: ٢١.
- (٧) ينظر: علم النص، جوليا كريستيفا: ٢١.
- (٨) انفتاح النص الروائي، سعيد يقطين: ١٢.
- (٩) بلاغة الخطاب وعلم النص، د. صلاح فضل: ٢٨.
- (١٠) علم لغة النص، سعيد بحيري: ١٠٨.
- (١١) بلاغة الخطاب وعلم النص، د. صلاح فضل: ٢٧٤-٢٧٥.
- (١٢) بلاغة الخطاب وعلم النص، د. صلاح فضل: ٢٨٠.
- (١٣) لسانيات النص، محمد خطابي: ١٣.
- (١٤) مدخل إلى علم النص، زتسيسلاف واورزنيك: ٥٦.
- (١٥) علم لغة النص، فان ديك: ٧٥.
- (١٦) المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب، د. نعمان بوقرة: ١٢٩.
- (١٧) ينظر: النص والخطاب والاجراء، دي بوجراند، ترجمة د. تمام حسان: ٧١.
- (١٨) موجز تاريخ علم اللغة (في الغرب)، ر. هـ. روبنز، ترجمة د. احمد عوض: ٣٣.
- (١٩) ينظر: تحليل الخطاب، ج. بول ج. براون، ترجمة: محمد لطفي الزليطي ومحمد التريكي: ٣٠.
- (٢٠) ينظر: لسانيات النص، د. احمد مداس: ٣.
- (٢١) ينظر: لسانيات الخطاب، د. نعمان بوقرة: ٢٦-٢٧.
- (٢٢) ينظر: البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، د. جمال عبد المجيد: ٧٦.
- (٢٣) تكوين العقل العربي؛ محمد عابد الجابري: ٧٥.
- (٢٤) ينظر: محددات اللغة والفكر في الثقافة العربية (بحث)، أ. محمد همام، مجلة عالم الفكر، مج ٣٢، ع ٢، ٢٠٠٣: ١٢٥-١٢٦.
- (٢٥) تكوين العقل العربي؛ محمد عابد الجابري: ٧٥.
- (٢٦) البيان والتبيين؛ لابي عمرو الجاحظ، تح: عبد السلام محمد هارون: ١/٦٧.



- (٢٧) البيان والتبيين؛ لابي عمرو الجاحظ : ٦٧/١.
- (٢٨) البيان والتبيين، الجاحظ: ١١٥/١.
- (٢٩) البيان والتبيين، الجاحظ: ٢٤/٤.
- (٣٠) الحيوان، للجاحظ: ٣١/٣.
- (٣١) عيار الشعر ، لابن طباطبا العلوي ، تح : د. طه الحاجري ، د. محمد زغلول سلام : ٨.
- (٣٢) م . ن : ٧
- (٣٣) م . ن : والصفحة .
- (٣٤) عيار الشعر ، لابن طباطبا العلوي : ٦.
- (٣٥) م.ن: ١٢٦-١٢٧.
- (٣٦) عيار الشعر، لابن طباطبا العلوي: ١٢٤.
- (٣٧) كتاب الصناعتين ، الكتابة والشعر ، لابي هلال العسكري ،تح علي النجاوي و محمد هارون : ١٤٧.
- (٣٨) للمزيد هنالك دراسات كثيرة تناولت العسكري وكتابه هذه ف ما يخص الدراسات النصية ، ينظر : الاتصال اللساني والياته التداولية ، سامية بن يامنة : ٩٣ و مابعداها و كذلك رسالة نظرية الكلام في بلاغة ابي هلال العسكري ، الحاج بلخياطي لعام ٢٠٠٥.
- (٣٩) العمدة في محاسن الشعر وأدبه ، لابن رشيق القيرواني ، تح . محمد عبد القادر عطا : ٢٥٨-٢٥٩
- (٤٠) دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني:تح: محمود محمد شاكر: ٤١٢-٤١٣.
- (٤١) دلائل الإعجاز ٤٩.
- (٤٢) م.ن: ٨١-٨٢.
- (٤٣) مقالات في اللغة والأدب تمام حسان: ٣٤٠/٢.
- (٤٤) دلائل الإعجاز ٤٩-٥٠.
- (٤٥) بلاغة الخطاب وعلم النص ، د. صلاح فضل : ٣٤١-٣٤٢.
- (٤٦) منهاج البلغاء وسراج الادباء ، حازم القرطاجني ، تح : محمد بن الخواجة : ٢٨٨
- (٤٧) م . ن : ٢٨٩ - ٢٨٨
- (٤٨) م . ن : ٢٨٩
- (٤٩) م . ن : ٢٩٩
- (٥٠) هناك دراسات كثيرة تناولت حازم وكتابه وفق المنظور النصي اللساني ، مما دعانا الى الايجاز في تحليل نصوصه النقدي وفق المنهج النصي ، فمن هذه الدراسات : النص والخطاب والاتصال د. محمد العبد : ١٧٧ ولسانيات النص ، محمد الخطابي : ١٥٠.